

وأصل الامام الصادق(عليه السلام) تطوير المدرسة التي أسسها آبائه (عليهم السلام) فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الاسلامية. لأنها قد لبّت الرغبة في نفوسهم وسعت لملى الفراغ الذي كانت تعانيه الأمة آنذاك حتى عدت جامعة تُشَدُّ لها الرحال، وتخرّج منها آلاف العلماء وبكافة الاختصاصات، ولهذه الجامعة خصائص نمرُ عليها إجمالاً وهي:

١. لم تنغلق هذه الجامعة على العناصر الموالية وأتباع أهل البيت فحسب وإنما أنفتحت على طلاب العلم من مختلف الاتجاهات والمذاهب.
٢. أنفتحت على مختلف فروع المعرفة الاسلامية والانسانية فأهتمت بالقرآن والسنة والفقه والتاريخ والاصول والكلام والفلسفة الاسلامية. كما أهتمت بعلم الفلك والطب والحيوان والكيمياء والفيزياء.
٣. لم تنتمي هذه الجامعة لأي من الدولتين الاموية والعباسية وحافظت على استقلالها فلم تتلوث بسياسة الحاكمين ولم تكن أداة لخدمتهم، فكانت بمثابة حصن سياسي وفكري يلوذ به طلاب الحقيقة.
٤. امتازت بمنهجها السليم وعمقها الفكري فأعتمدت على الفكر والتعمق والأصالة ونمو الكفاءات العلمية.
٥. أنتجت رموزاً للعلم والتقوى والاستقامة وعرفت بالعطاء العلمي والديني بحيث اصبح الانتساب لهذه الجامعة مفخرة للمنتسب، فهاجر عدد طلابها الأربعة آلاف طالب.
٦. أصبح لها فروعاً فيما بعد في الكوفة والبصرة وقُم ومصر.
٧. كانت الجامعة جزءاً من برنامج الامام الإصلاحى لأنها ساهمت بحق في خلق المناخ المناسب لبناء الفرد الصالح وكانت امتداداً واعياً ومؤثراً في المسيرة العامة للأمة.
٨. امتازت هذه الجامعة بالارتباط المباشر بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فأكد على تدوين الحديث والحفاظ على مضمونه بعدما تعرّض للضياع والتحريف والتوظيف السياسي المنحرف ومنع التدوين.
٩. اهتمت بالتدوين بشكل عام ومدارسة العلم لإنمائه وإثرائه والكتابة والاحتفاظ بالكتب والمباحثة والتدريس فقال(عليه السلام):((احفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها)) وعلى هذا الاساس اهتم أصحابه بكتابة الاحاديث وتدوينها حتى تألفت واجتمعت الاصول الاربعمئة المعروفة والتي شكلت المجاميع الحديثة الأولى عند الشيعة الامامية.

الامام الصادق (عليه السلام) والبناء الروحي والايماي:

لقد تعرّض الواقع الايماي والروحي للأمة الاسلامية في عصر الدولة الاموية وخاصة في أخرىاتها الى الخواء والذبول وبروز الانانية وفصل الايمان عن الانشطة الحياتية الأخرى وخاصة التجارة وإعطاءه صورة مشوهة كل ذلك من جراء عبث التيارات الفكرية المنتشرة آنذاك، ومن هنا بذل نشاطاً واسعاً لاستعادة الايمان وبناء الذات وفق الخط القرآني وترسيخ قواعد إيمانية رصينة.

ولقد اكد الامام على بعض الانشطة التي عن طريقها رسّخ الايمان في نفوس أصحابه وخاصته الذين كانوا بمثابة دعاة عاملين في وسط الجماهير المسلمة، وهذه الانشطة هيك

١. حدّر الامام من تكوين علاقات ايمانية مع من كانوا يسمون بالعلماء الذين انتشروا في زمانه ومنع من الاقتداء بهم من دون معرفة لواقعهم النفسي والاخلاقي، فإن العلم الذي يتمتع به هؤلاء إنما يكون كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماءً، وبالتالي ستؤدي هذه العلاقة الى فساد اعلاقة مع الله والابتعاد عنه سبحانه.
٢. صحح الامام مفهوم الايمان ومعناه وحاول إبراز صورته الحقيقية عن طريق تشخيص صفات المؤمن التي عرف المؤمن من خلالها فهو(أي المؤمن) ذلك الإنسان الذي يعكس المفهوم الإلهي بصورته الشاملة للحياة وليس هو ذلك المستسلم في حياته الفاقد لإرادته لهذا يشير الامام الى مسألة مهمة تستبطن بعداً سياسياً واجتماعياً ينبغي على المؤمن أن يعيها ويتحرك بموجها، بقوله(عليه السلام):((إن الله فوّض الى المؤمن أمره كله، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً)).
٣. جعل الامام (عليه السلام) مخافة الله هي معيار الكمال والقوة لقلب المؤمن، فالقلب المملوء خوفاً من الله المتعال تتصاغر عنده سائر القوى كقوة المال والسلطان وكل القوى البشرية، اما القلب الذي لا يشعر الرقابة الإلهية ويتغافل عن هيمنتها يكون ضعيفاً وساقطاً مهما بدا قوياً وعظيماً، لذلك قال الامام(عليه السلام): ((من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء)).
٤. حدّر أتباعه من الثثرة في الكلام وامرهم بضبط اللسان، وأشار الى خطورة الكلام وما يترتب عليه من آثار سيئة وأثام تضرُّ بالايمان كما حدّر من الاستجابة لهوى النفس قائلاً:((إن كان الشؤم في شيء فهو في اللسان، فاخترنوا ألسنتكم كما تخزنون أموالكم واحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس أقتل للرجال من اتباع الهوى وحصائد ألسنتهم)).

٥. لفت الامام أنظار أتباعه ومواليه الى عدم تجاهل الاشاعات التي يطلقها الخصوم ضد أصحابه فقد تكون مصيبة وصحيحة ولتكن مدعاة لمراجعة النفس فقال (عليه السلام): ((من لم يبال ما قال وما قيل فيه، فهو شرك الشيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك الشيطان)).

٦. أكد الامام على امتحان اتباعه فيما يخص العبادة التي يمتازون بها عن غيرهم وعلاقتهم بالله سبحانه وتعالى فقال(عليه السلام): ((امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، والى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا، والى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها)).

وقد ألزم الامام الصادق (عليه السلام) دعاة الخير وقادة الصلاح من أتباعه وأصحابه بأن يدعوا الناس بأعمالهم قبل الدعوة لهم بأقوالهم، لأن الناس من شأنهم أن ينظروا أعمال من يدعونهم الى الخير فإن رأوا منهم العمل بما يدعونهم إليه والوقوف عند حدوده أتبعوهم وإن رأوا عملهم يخالف قولهم نبتوهم، وإن أمثل قاعدة يُستَرشد بها في اصطفاء من يتخذ الناس زعيماً لهم وقُدوة هي اعماله، فهي التي تجعله أصلاً لأن يسلم اليه الناس قيادتهم، ويأتمنوه على عقولهم يتقفها ويغذيها، إذ الأقوال الخالية عن العمل من قبل قائليها تدعوا الناس الى عدم الاعتداد بها لأنهم لا يرون أثراً منها على من يأمر بامتثالها، لذلك جاءت وصية الامام لأصحابه: ((أوصيكم بتقوى الله واداء الأمانة لمن اتتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه وأن تكونوا لنا دعاة صامتين، لكن كيف يكون الداعي للخير صامتاً؟ وكيف يقومون بهذه المهمة وهم لا يتكلمون؟ عندها اجاب الامام عليه السلام بقوله: ((تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدؤون الأمانة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما انتم عليه علموا فضل ما عندنا فتنازعوا اليه)). ولم يزل يكرر هذه القاعدة ويلزم أصحابه بالالتزام بها، فقال: ((عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد، وصدق الحديث، واداء الأمانة وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة لانفسكم بغير السننكم وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً)).

كان الامام الصادق (عليه السلام) يحاول أن تكون الدعوة أساسها العمل الصالح والخلق الطيب، فهي أنجح وسيلة لخوض معركة صامته، تكافح المظالم بكافة انواعها، وتقف الى جنب المظلومين، ليظهر بذلك خطأ أولئك الذين اغتصبوا حقوق الأمة وترأسوا على المسلمين بغير حق، وقد انحرفوا كل الانحراف عن مبادئ الاسلام وتعاليمه.

خليفة مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية (١٢٧-١٣٢ هجري/٧٤٤-٧٤٩م):

بويج مروان بن محمد بالخلافة بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة (١٢٧) هجري، وكانت أيامه منذ بويج الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر. ويقال له مروان الحمار، ولقّب بالحمار لصبره في الحرب ويقال له الجعدي نسبة الى مؤدبه الجعد بن درهم من اصحاب المقالات في الاعتزال.

ولما ولي الخلافة ثارت الفتن والقلاقل وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج، ولم تطل ايامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته الى بلاد مصر، فقُتِل بقرية أسمها(بوصير) من قرى الصعيد سنة (١٣٢) هجري.

أما أبرز أحداث عصره (عليه السلام):

١. ولادة الامام الكاظم (عليه السلام):

ولد الامام موسى بن جعفر(عليه السلام) في عصر مروان الحمار في سنة (١٢٨) هجري في الأيواء (وهي قرية على مقربة من المدينة)، وأمه السيدة الجليلة حُميدة البربرية التي سماها الامام الصادق ب(حُميدة المصفاة).

٢. ثورة عبد الله بن معاوية الجعفري(١٢٩). هجري:

عندما تسلم مروان الحمار الخلافة بايع العلويين وقسم من أهل الكوفة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار وكان معه أخواه الحسن ويزيد فاستولى على بعض مناطق الكوفة ودخل قصرها وبايعه الناس وخاصة الزيدية منهم وبايعه أهل الشام بالكوفة ثم أتته بيعة المدائن من كل وجه من العراق، لكن والي الكوفة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتله قتالاً شديداً وصمد الجعفري أمامه ثم تصالح الفريقان بعدما أخذ الأمان لعبد الله بن معاوية واصحابه فأرتحل ومن معه الى المدائن ومنها الى أصطخر فارس، وفي سنة (١٢٩) هجري خرج بها مرة أخرى وأيده كثير من اهله فوجه إليه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق عامر بن ضبارة المري الغطفاني فلقيه باصطخر فهزمه عامر فخرج الى خراسان وكان فيها (أبي مسلم الخراساني) كبير دعاة العباس فألقى القبض عليه وحبسوه هو وأخواه في رمضان سنة (١٢٩) هجري، وفي سنة (١٣٠) هجري قتله ابو مسلم وختلى عن أخويه.

٣. الثورة العباسية (١٢٩). هجري:

قبل تناول الثورة العباسية وكيفية سقوط الدولة الاموية على أثرها علمها أن نتعرف على طبيعة الدعوة العباسية من حيث النشأة واللاساليب لنعرف الدوافع والاهداف المتوخاة من الثورة العباسية، وكيف استولى بني العباس على السلطة وسرقوا حقاً ليس لهم بل وقتلوا وشردوا اصحاب الحق الحقيقي.

المصدر: أسد حيدر، الإمام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة.